ملاحظات أولية على "مخيلة الحكاية"

صبحي شحروري

الجهد الواضح والشمولي الذي بذله المؤلفان يستحق أن يشاد به، وهو جهد فاق تصوري الأولي له بدرجات.
إنه جهد تأصيلي ينطلق دون خلفيات داعمة، وفي مقابل الواقع التربوي والتعليمي المتردي بكل المقاييس.
وهذه مجرد ملاحظات أولية، وأزعم مع ذلك أني تابعت هذا الجهد في منعرجاته إلى حد معين.

في غلاف الكتاب الخلفي يقول المؤلفان أنهما "حملا حد المغايرة هما"، مغايرة أي شيء، بالطبع واقع العملية التربوية والتعليمية عموماً، ومن يغاير لا بد أن يدرك طبيعة ما هو قائم في ميدان بحثه ليغايره. وحسب ما أعرف فإن "فوكو"، دون غيره، هو الذي حدد ابتداء طبيعة الخطاب أحد ركني القصة، وهو نفسه الذي شرح "حدود الأشياء" التي تتم على أساسها أية مغايرة لاحقة، ربما الأسماء المذكورة عندكم طورت جهد فوكو.

وكم تمنيت لو تم التطرق إلى جهد فوكو في تدمير الذات "الترنسندنتالية" -المتعالية- وتدمير التاريخ بتحويله إلى أنات متفرقة، وكيف أقام على أنقاضه كلاً من الجينالوجيا والأركيولوجيا مع التعريف بهما.

وقد سررت للاستعانة بالآخر، فهو يدل على التمكن والثقة بالنفس. هذا وقد اعتبرت العنوان "حول الكتاب" والعنوان في "تأليف الكتاب" مقدمة: والمقدمة تقديم للنص قبل النص، تأريخاً استخدمها هيجل وعلق عليها دريدا، رفضها ثم قبلها والفائدة تقع بينهما بالطبع.

إن الجهد المبذول هنا يجب ألا يقتصر على القصة، فهو أوسع منها، ويجب أن ينتفع به في ميادين أخرى أوسع. وبمثل ذلك التطبيقات الإضافية والدقيقة إلى حد مذهل. كما يجب ألا يقتصر الاهتمام به على مدرسي اللغة العربية، أو هذا العدد القليل جداً منهم، المنخرط في هذا النشاط الإبداعي. وينطوي ذلك على نقد -إن سمحتم لي- يتمثل في قدرة القصة القصيرة أو يدور حولها -لا ذكر لقصة الأطفال، معظم الطلاب أطفال- على النهوض بهذا العبء الذي حملته، وبخاصة أن القصة كجنس أدبي تزوغ وتراوغ، وقد غادرت مواقعها الرئيسية كقصة كلاسيكية، وفقدت معظم مقوماتها حتى تحولت إلى مجرد عمل في اللغة يصور أحاسيس غامضة، لا تنهض بأعباء أو هموم وطنية أو طبقية مثلما كانت، فعن أي قصة نتحدث؟ وهذه مسألة لم يتم التطرق لها عندكما. وقد أرقني وباستمرار مجرد التفكير في كيفية تمرير مثل هذا الجهد للميدان وللآخر الذي هو المدرس تحديداً. لعلي أعرف هذه الأجواء بعد العمل 30 عاماً مدرساً ومدرباً للمعلمين في دورات تأهيل المعلمين والمديرين. ولا بد أن هذه المسألة خطرت للأخوين وربما خامرتهما شكوك مشابهة في زمن تكثر فيه الشهادات ويشتد التحسيس عليها.

حول مادة "الصرف" أقول إني "أحتاس"، ويصيبني دوار وأنا أفكر في بعض الموضوعات مثل مادة "التصغير" الذي كان مقرراً في منهاج التوجيهي في إحدى السنوات. ومن يا ترى يستعمله اليوم فيما عدا يا بنية التي تحولت إلى سياق عامي. أي جهد وأية فائدة يا ترى؟!

ومثله التعجب: ما أجمله وأجمل به، وكم تعجب الناس دون استعمال هذه الصيغ البائدة. هذه محطة لا بد من الوقوف عندها.

ككاتب أتمنى أن يظهر في زمن ما نص بارودي مبدع يسخر من كل هذا.

وقد وقفت عند قولكما "التعدد والتنوع والانفتاح والحوار واحترام

الآخر" ، بينما يضرب الطلبة في بعض مدارسنا بالحبال ولا يقصرون من جهتهم في الرد. أما قصة الأطفال التي أعيد استيرادها من السويد فما زالت دون أساس نظري كجنس أدبي خاص وما خصائصها؟ اسمحوا لي أن أضيف عن كثرة الاجتماعات التي تدور حولها، رواح ومجيء، وحديث كله دون مردود، وكثيرا ما يسألني هؤلاء المنغمسون حتى أطراف الأردان في الانشغال عن قصة الأطفال ويسألون غيري بالتأكيد، مع أني لم أكتب سوى قصة واحدة من هذا اللون في حياتي، ما يدل على أنهم يتخبطون فعلاً.

ألا ترون معي أن "القص" كمصدر هو غير القصة، وأن كلمة حواري (ص19) لا بد أن يكون لها علاقة بالعامية؟

إن طريقكم المعبد الجميل يدوس في طريقه ولا بد، عدداً كبيراً من الأسئلة والعناوين الفرعية التي يكون لها طنين في الرأس، بينما القارئ يتقدم صوب هذا المشروع المتعوب عليه والجميل. ودون "البرهمي" (ص19) فإن الكتابة اختيار واطّراح، ولم أفهم المقصود بـ "البيداغوجية والديداكتيكية" ، وبخاصة في مجال التطبيق فعذراً.

أما النقطة الرئيسية هنا والاعتراض الرئيسي فهو على الابتكار في التعرض للبلاغة القديمة واللسانيات وأمور أخرى كثيرة جداً، كان يجب الوقوف عندها تحديداً، وبخاصة أن إرثنا هذا لم يبقَ غفلاً، بل هنا كثيرون الآن تعرضوا لهذا الإرث، وكتبوا عنه وبسّطوه. أين الجرجاني تحديداً؟ ولو أن ما ورد عنه جاء انعكاساً لكشف بنيوي غربي، ذلك ذنب كمال أبو ديب مثلاً وليس ذنب القاضي نفسه، أين كل الأسماء؟ لقد سوقنا محمد أركون هنا، واختص محمد عابد الجابري في الصحافة والإعلام الفلسطينيين، والأسماء تطول ويمكن كتابة مقال كامل عن هذا.

إن جهدكم الكبير المبذول هو الذي يطرح الأسئلة ويساندني هنا، هذا ولم يخامرني الشك بأن الإغفال مقصود أبداً عندها فلا مجال لهذا الطرح.

أنتما اثنان، ألا تريا أن التثنية متعبة؟ فلماذا لا تطرح كمسألة يطالها النقاش؟ وأحب أن أسألكما سؤالاً صغيراً أليس لديكما اعتراض على اعتباطية سوسور.

كنت طفلاً صغيراً ساكناً، وكان أستاذ الإنجليزية يهجم علينا مطبقاً يده في لكمة، ويصيح Crush، وكنت أحس أن صحوناً كثيرة تكسرت.

تستخدمون كلمة تعبير وعليها اعتراضات كثيرة، أو لا نسعى باتجاه "الفعل" ، الفعل الشعري معروف ونظرية الفواعل معروفة. سؤال: كيف يمكن الانتقال من بروب – مورفولوجية الخرافة – القصة، ألا يتطلب هذا الوقوف عند "الحكاية" كجذر أولي للقصة؟

وهناك عبارة "يأخذ عليه خطيته" جريماس/ بروب. في نقض الشعر كنا نكتب عن "البعد الخطي" للقصيدة الذي تحول الآن إلى " فضاء التدوين النصي" ماذا لديكم في المقابل؟

سؤال: إن ذوَّتنا الحوار في القصة، فبأي لهجة سيتكلم أبطال القصص؟

أين مسألة الشفاهية التي يمكن أن تثيرها حكاية عبد الله البري وعبد الله البحري؟ ها قد جئتم إلى الشفاهية كتهمة كبرى نُرمى بها في مقابل الكتابة "الجراماتولوجيا" كما عند "دريدا" ، والعرض صعب جداً كما عرضه "سبيفاك" . إن نهاية القصة –البري البحري– مسقطة من فضاء مغاير غير مطروح هو الفضاء الديني.

أشكركم، وعذراً على الإزعاج، فإن أزعجتكما فقد نجحت.

صبحي شحروري
كاتب وناقد فلسطيني
عضو منتدى طولكرم

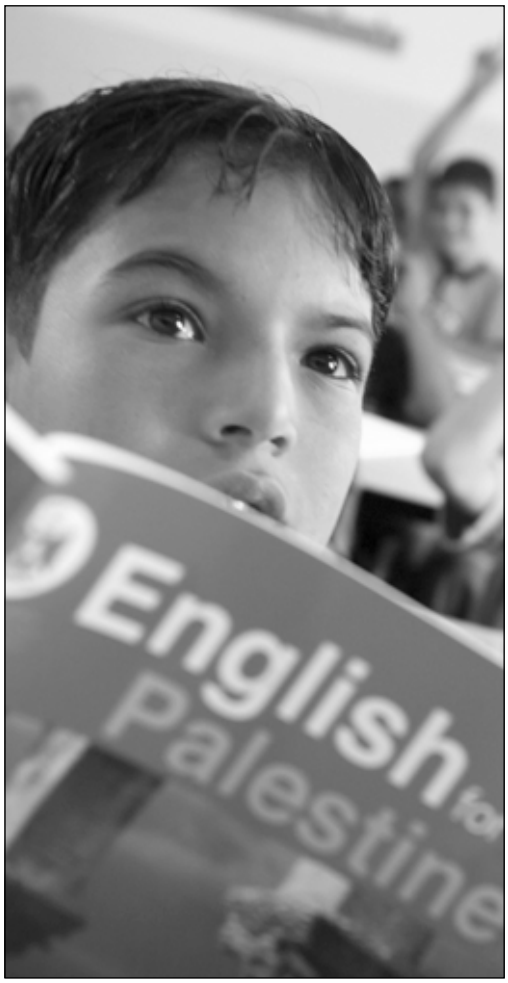

في حصة للغة الإنجليزية في إحدى مدارس رام الله. (عدسة: وكالة "معاً")